المحاضرة الأولى: مدخل إلى الأدب المغاربي المكتوب باللّغة الأجنبية

تمهيد

يتميّز الأدب المغاربي عموما عن بقية الآداب العربية بخاصية منفردة قلّما نجدها تجتمع في أدب العروبة قديما و حديثا.

و يتمثل هذا التمايز في جملة من الخصائص المركبة المعقدة أنبتتها صيرورة تاريخية لا مناص منها تدخلت في تشكيل الأدب المغاربي على مرّ العصور ثلاثة عناصر هي:

العنصر المحلّي و العنصر العربي و العنصر اللاتيني الفرنسي. ثمّ انصهرت العناصر الثلاثة لغة و حضارة عبر التّاريخ ثمّ لبست حلة عربية في مرحلة استرداد السيادة الوطنية في الربع الأخير من القرن العشرين.

و إذ نتحدث هنا عن الأدب المغاربي المكتوب باللّغة الفرنسية فإنّ تاريخ الكتابة المغاربية يزخر بأمثلة عديدة من الكتاب الذين كتبوا بلغة غير لغتهم الأصلية، فكتب جلّهم باللّغة الفرنسية تقريبا.

و قد شكلت الرواية المغاربية ظاهرة ثقافية و لغوية متميزة، منهم من عدّها رواية عربية بالنظر إلى مضامينها الفكرية و الاجتماعية. و كثير من النقاد اعتبروها رواية مغاربية مكتوبة بالفرنسية بالنظر إلى أنّ اللّغة هي الوسيلة الوحيدة التي بها يكتسب الأدب هويته.

و قد كانت هذه الكتابات موجهة إلى " الآخر "(الفرنسي) حيث تريد أن تشعره أنّ المغاربي قادر على ممارسة فعل الكتابة كظاهرة حضارية.

نماذج عن الكتابات المؤلفة باللّغة الفرنسية:

من الأمثلة الروائية المعروفة نذكر من الجزائر:

مولود فرعون بروايته " ابن الفقير " سنة 1950، رواية " الأرض و الدم " 1953 و " الدروب الصاعدة " 1957. كما نشرت له رواية " الأرض و الدم " 1957 و كانت إسهاماته كبيرة في دعم القضية الوطنية و إيقاظ وعي الشعب الجزائري.

أمّا الكاتب " مولود معمري " فقد نشر روايته " الهضبة المنسية " " الأفيون والعصا " عام 1965 م.

و من المغرب نذكر الكاتب المغربي " إدريس الشريبي " بروايته " الماضي البسيط " عام 1953. و قد لاقت انتقادات واسعة من قبل النقاد المغاربة نظرا لأنّ الكاتب قد فضح مساوئ المجتمع المغربي و نقائضه و فضح السلطة الأبوية التقليدية و كشف عن ظاهرة حرمان البنات من التّعليم و تزويجهنّ في سن مبكرة و كل ذلك باللّغة الفرنسية مما أثار غضب القرّاء و النقاد و نظروا إلى الرواية بنوع من الخديعة و التواطؤ مع الاستعمار.

و من تونس نذكر الكاتب " محمود المسعدي " في كل أعماله الصادرة بين 1939 و 1945، و من أشهر تلك الأعمال نذكر: رواية " السند " و كذلك " حدّث أبو هريرة قال..... ".

أخيرا تجدر الإشارة إلى أنّ كثيرا من هؤلاء الكتاب المعبّرين ب اللّغة الفرنسية قد وضعوا حلا لإشكال انتماء أدبهم الذي احتار النّقاد في تصنيفه و ذلك إمّا بتعلم العربية و التّخلي عن الكتابة بالفرنسية مثلما حصل مع الكاتب المغربي " عبد اللّطيف اللعيبي " أو مع الجزائري " رشيد بوجدرة ".

و منهم من توقف عن الكتابة أصلا لعجزه عن تعلم العربية كما حدث مع " كاتب ياسين " و منهم من واصل الكتابة بالفرنسية مع كرهه لذلك مثل " مالك حداد " و لكنّه قرّر في بداية السبعينات من القرن الماضي أن يعتزل الكتابة كليًا.

المحاضرة الثانية: مسار الرواية المغاربية المكتوبة بالفرنسية

توطئة

بما أنّ الأدب المكتوب بالفرنسية كان النّصيب الأوفر فيه للرواية الجزائرية فحريّ بنا أن نقف أوّلًا عند مسار هذه الأخيرة و التي يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل هامّة هي:

أ- **مرحلة التّأسيس:** و قد تميّزت أعمال هذه المرحلة بواقعيتها الانتقادية و خير من مثل هذه الحقبة

نذكر:

1- **مولود معمري:** هو من مواليد 1917/12/28 بالقبائل الكبرى درس في الجزائر ثمّ في باريس و حاز على الليسانس في الآداب في أواخر سنة 1962. عاد إلى الجزائر ليدرس في جامعتها.

و قد ركزّ الكاتب في رواياته على المجتمع القبائلي ليجسد مأساة الشّعب الجزائري عامّة فقد حاول في روايته " الهضبة المنسية " التي ألّفها عام 1952 تجسيد عادات و تقاليد المجتمع البربري كما صوّر الحرب التي تفرق بين الأحباب و البشر و ترهن الجماهير في البؤس و العوز كما كتب " الأفيون و العصا " عام 1965.

2- **مولود فرعون:** ولد عام 1913 بالقبائل صوّر في إنتاجه كله الحياة في قرى و مداشر القبائل من عادات و تقاليد و معاناة نتيجة الاستعمار. أوّل عمل أنتجه هو رواية هو رواية " ابن الفقير " عام 1950. و هي رواية تعكس حياته الشخصية نظرًا لكونه ابن فلاّح فقير. ثمّ كتب " الأرض و الدّم " عام 1953، عذّب و اضطهد إلى أن قتل على يد منظمّة الجيش السريّ الفرنسي عام 1962.

ب- **مرحلة تصوير المجتمع:** ظهرت في هذه المرحلة أعمال كثيرة جسدت الأبحار النضالية و الثورية

بالموازاة مع الحالة الاجتماعية المزرية التي كان يعاني منها الشعب الجزائري. و خير من مثّل هذه المرحلة:

1- **محمّد ديب:** ولد في تلمسان عام 1920، اشتغل مدرسًا ثمّ محاسبًا ثمّ عامل نسيج كتب

ثلاثيته الشهيرة: " الدّار الكبيرة "، " الحريق " و " مهنة النّسيج " تعكس رواياته واقع الشّعب الجزائري بكل تفاصيله .

مرحلة أدب المقاومة: في هذه المرحلة الممتدة بين 1958 إلى سنة 1962 تبلور أدب المقاومة و أصبح مفهوم الشهادة في سبيل تحرير الوطن مقدسًا و صار الكلّ يحلم بالاستقلال و الحرية و خير من مثّل هذه المرحلة:

- **مالك حدّاد:** ولد عام 1927 بقسنطينة، يُعَدُّ من بين الأدباء الذين كرّسوا أقلامهم و فنّهم لبلادهم و قضيتها العادلة. فمنذ عام 1958 إلى 1961 كان يكتب بمعدل رواية لكلّ عام و هو على التّرتيب:

- الإنطباع الأخير:1958م
- سأهديك غزالاً: 1959م
- التّلميذ و الدّرس: 1960م
- رصيف الأزهار لم يعديجيب: 1961م

كما أصدر في السنة نفسها مجموعة شعرية اسمها " استمع إلى ندائي " و كان يحزّ نفسه أنّه يجهل اللّغة العربية كما كان يشعر بالغربة لأنّه لا يكتب إلّا بالفرنسية لغة المستعمر.